فرنتس شوبرت

للأستاذ محمد كامل حجاج

أتشرف بالتحدث اليوم أمام قراء الرسالة الأفاضل عن عبقرية نادرة ونابغة عالمي في الموسيقى وقد عرفه الشعب المصري أكثر من غيره من كبار الموسيقيين من كثرة عرض فلمه « السانفوني الناقصة » ولا يخفى عليكم أن السينما لا تتوخى الحقيقة دائماً بل يتعمد الانحراف مبرراً موقفه ولو بأضعف الأسانيد المشكوك في صحتها إن كان في سردها ما يشوق النظارة أو يترك فيهم أثراً عنيفاً

ولد المترجم له في ٣١ يناير سنة ١٧٩٧ على مقربة من فينا وعاجلته المنية في ربيعه الحادي والثلاثين أي سنة ١٨٢٨ وقد ترك بعد هذه الحياة القصيرة كثيراً من مختلف أنواع التلحين إذ بلغت مؤلفاته في طبعة Mandezewiski سنة ٩٧ — ١٨٨٥ أربعين مجلداً

ولع منذ نعومة أظفاره بالموسيقى فتلقى تعليمه الأول على ميشيل هولزر وأخذ يدرس في الوقت نفسه البيانو وعدة آلات وترية حتى أتقنها، وعهد إليه بدور الكمان الأولى في الأوركستر وهو في الرابعة عشرة من عمره، ثم تلقى دروس الأرمونى على أورجانست البلاط الأمبراطوري Rueziczka وتلقى الغناء والتلحين على ساليري Salieri مؤلف أوبيرا دانايد Danaides

ولقد أحصى ما ألفه في سنة ١٨١٥ وكان في ربيعه الثامن عشر فوجد ٦ مؤلفات للمسرح وقداسان و Stabat Mater و Salve regina (وهما نوعان من الموسيقى الدينية) و١٢ Wiener Deusche و ٨ Ecossaises و ١٠ تنويعات للبيانو و ٢ من السانفوني و ٤ سوناتات وأكثر من ١٣٠ من الأغاني المعروفة بالليدر فيكون المجموع ١٧٦ قطعة. وقد قال عنه بيتهوفن وهو على فراش الموت: « إن في هذا العقل لشرارة ربانية »

كان أبوه صاحب مدرسة وتزوج مرتين رزق فيهما من الأبناء والبنات ثمانية عشر. وإنه لمن الصعب أن يميز الإنسان أدوار حياة قصيرة؛ ولكننا نستطيع أن نعتبر منها تاريخين بلغ فيهما أعلى ذرى مجده وهما سنة ١٨١٩ التي ظهرت فيها قطعته المشهورة « شكوى الراعي » وسمعها الجمهور لأول مرة وحازت قبولاً عظيماً وعام ١٨٢١ إذ مثلت فيها « ملك الأون » Roi des Aulnes وهي من أوبيراته الشائقة وقد غناها المغني المشهور ميكابيل فوجل، ومن هذا العهد ذاع صيته وملأ الآفاق. ولقد كان مثل موزار في ذكائه المشتعل في صباه البكر، ويظهر أن القواعد الابتدائية للفن قد نقشتها الطبيعة في عقله فما كان منه إلا أن يشعر بتطلبات الظروف مثل مبادئ العقل والأخلاق

ولقد قال أستاذه هولزر: « بماذا أستطيع أن أفيده؟ إذ حينما أريد أن أعلمه شيئاً وجدته عالماً به من قبل ». ولرخامة صوته وذكائه الموسيقي عين منشداً في كورس كنيسة الامبراطور وانتظم في سلك طلبة المعهد الموسيقي الملحق بها إلى أن خرج منه سنة ١٨١٣، ثم جعله والده مساعداً له في مدرسته ولبث فيها ثلاثة أعوام ولما كثر المعجبون به أرادوا أن يعرفوه للناس فأرسلوا جانباً من الليدر التي كتبها إلى جوته ولكنه لم يرد عليهم، فلم ييأسوا وأرسلوها إلى المغني الشهير ميكابيل فوجل فدهش منها وطفق يحضرها ويغنيها

وفي سنة ١٨١٨ استدعاه الكونت استر هازي ليعلم ابنتيه فذهب إلى قصر Zelesz بالمجر وقضى فيه الصيف في هناءة وسرور معجباً بتلميذتيه. إن أعظم المراجع التاريخية لم تذكر شيئاً عن غرام شوبرت بكارولين ابنة الكونت استر هازي والبعض قال: إن هذه الاشاعة مشكوك في صحتها إذ لم يؤيدها

أحد وغاية الأمر إنهم استنتجوا هذه الاشاعة من عناوين بعض القطع كالوداع وغيرها

وفى نوفمبر سنة ١٨١٨ رجع إلى فينا ورفض متابعة التدريس وطرده والده ، فأواه أصدقاؤه وتدبروا له فى شراء بيانو . فكان يستيقظ مبكراً ويبتدئ التلحين فى الساعة السابعة صباحاً ويستمر إلى الأولى بعد الظهر فى الخلاء أو فى المدينة أو فى نزهة أو فى المقاهى ، وكان يمضي السهرة كلها مع أصدقائه الحميمين مثل : Spaun و Lachner و Schober و Senn و Bauernfeld وغيرهم . وكانت هذه الفئة من الموسيقيين والشعراء يصرفون الليل فى إلقاء الشعر والغناء ، ويشربون ويمرحون ، وكانت كؤوس الجعة تدور طول ليلهم وفى بعض الأوقات يرقصون ، وكانت حفلات الشباب هذه الأدبية يعيدها شوبرت إذ كان لها بمثابة الروح للجسد ، وأطلق عليها اسم : « شوبرتياد »

وقال صديقه Spaun « كنا جميعاً أخوة أصدقاء » وكان شوبرت يحب أصدقاءه حباً جماً حتى أنه كان يسكن معهم ويشاطرهم ملابسه ونقوده . وكان يحب اجتماعات الفتيات ويرتاح لسمرهن ولكنه كان يتحاشى أن يقع فى حبائل الحب أو يمكر صفوه وخياله بآلامه لأنه كان يطمح إلى الرقى لأعلى ذروة فى الموسيقى

وفى أبريل سنة ١٨٢١ تعاون أصدقاؤه على طبع كراسة من الليدر فى محل Cappi et Diabelli وكتب السانفونى التى من مقام Si mineur ، وهى من أعمق مؤلفاته . وقد حاول أن يقترب من بتهوفن ولكن هيهات الوصول إليه

أصابه مرض شديد سنة ١٨٢٣ فخاب رجاؤه وانقطعت آماله فقال فى إحدى رسائله : « إننى لأتعس وأشقى رجل فى العالم ، فتصور بائساً لا تعتدل صحته قط ، وقد خابت آماله ولم تسبب له مسرات الحب والصداقة إلا المتاعب والآلام ، ولا أدرى إنساناً يفهم آلام أو سعادة مثيله . ويظن دائماً أن الواحد يتجه دائماً نحو الآخر وغاية الأمر أنهما يسيران جنباً إلى جنب ، فيالعذاب من يشعر بهذه الحقيقة المرة المؤلمة

رفضوا له أوبيرتين وهما « المتآمرون » و « فيرابراس » ولكن الرحلة التى قام بها مع المغنى الشهير ثوجل فى النمسا العليا قد صادفت نجاحاً عظيماً

وبعد عودته كتب ليدر « الطحانة الجميلة » وفيها صورة حية ناطقة للآلام الانسانية ولكن أوبيرا Rosamunde التى مثلت فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٣ وكان عليها إقبال عظيم لم تمثل إلا مرتين

ساورته الكآبة والحزن لتدهور صحته وفقره ، ولسوء حظه ما كان يجد من يشترى تآليفه ، ثم ذهب سنة ١٨٢٤ إلى قصر الكونت استرهازى وقضى به فصلاً ثانياً وكان يبحث فى مخيلته عن شيء يتعزى به وكان يتصنع السرور رغماً عن كآبته وآلامه، استمر فى العمل ولم يهجر المسرح وقد ربطته عرى الصداقة مع المغنية الشهيرة أناملدر هوبتمان وكانت تغنى فى مسرح « ملك بروسيا » . ثم قام برحلة جديدة مع ثوجل المغنى ورجع ومعه عدة مخطوطات ثم أرسل إلى جوته كبير شعراء الألمان ثلاثاً من الليدر فلم يرد عليه وحاول أن ينال وظيفة الرئيس الثانى لكنيسة الملك فأخفق

(البقية فى العدد القادم)

محمد كامل حجاج
عضو مؤتمر الموسيقى العربية

مؤلفات
الأستاذ محمد كامل حجاج

ص
٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)
١٨ نباتات الزينة المشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا